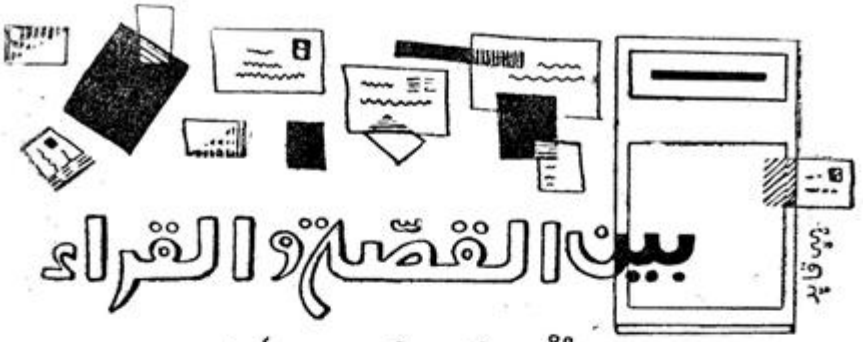

أحمد محمود أحمد :

قصتك فى هذه المرة يا أستاذ أحمد ليس فيها جديد على الاطلاق الموضوع قديم ولا بأس عليك من قدم الموضوع ولكن العرض ايضا قديم فتاة احبت ثم ارغم الحبيب على ان يتزوج من فتاة اخرى . والارغام لم يكن طبيعيا . والنهاية ايضا لم تكن طبيعية . فانت تقول فى آخر القصة على لسان الفتاة التى تروى . « سوف اثبت له انى اقوى منه واشد عزما مادام قلبه قد نفض هذا القلب الذى أحب بعمق وهوى ، بايمان وطهر ، وخفق لأول طارق . لن يكون جزاؤه مرة اخرى هذا الاهمال المزرى الذى يذهب بماء الوجه ويقضى على الآمال والأحلام ساترك هذا للأيام التى تاسو كل الجراح وتمحو كل هوان وهى كفيلة بذلك » ألا ترى معى أن هـذا الشعور غريب وقت الصدمة .. وعلى كل حال المشاعر الانسانية تختلف من انسان الى آخر وقد توجد الفتاة التى تحس هذا الشعور ولكن كان لابد لك أن تبرر هذا النوع الغريب بعض الشىء من التأثر . لا ادرى لماذا احسست أن كلماتك هذه الأخيرة تشبه نوعا من النصيحة للبنات اللواتى أصبن بمثل ما أصيبت به . والنصيحة لا يجوز لها أن تحضر شخصيا فى القصة . يجب أن تنيب عنها وكيلا . من واقعة ، أو من حوار غير مباشر ، فانها اذا حضرت بنفسها أحالت القصة الى مقالة . أسلوبك جميل لا شك فى ذلك ولغتك سليمة واضح فيها أثر الثقافة العربية الأمر الذى نفتقده فى ادب الشباب فلا نجده . اننا فى انتظار قصتك القادمة وثق أنها ستأخذ مكانها الذى ننشده لها .

مراد صبحى :

قصتك هذه لا بأس بها ولكنها اضعف من قصتك التى نشرت لك فى مجلة القصة . ونحن نرجو التقدم لا الثبات ولا التأخر . أنت طوال عرض هذه القصة مباشر فى تعبيراتك تستغنى عن الواقعة بالحديث . فمعوض يجد فى عمله . ويجد فى مذاكرته أما كنت تستطيع ان تسوق الينا واقعة او وقائع لترينا مقدار جده . لو أنك اتخذت السبيل القصصى فى العرض لأصبت التوفيق فى القصة . لأنك وفقت فى النهاية وفى طريقة عرضها توفيقا جعلنى آسف للعرض المباشر الذى لجأت اليه دون داع الى ذلك .

اسلوبك بسيط وواضح . الا انك تخطىء احيانا قليلة فى النحو ولا شك انك اذا عنيت عناية هينة بدراسة النحو فستستطيع ان تتغلب على هذه الهنات التى تبدو من حين الى آخر فى كتابتك . اننى على ثقة اننا سننشر لك . ولكن عليك أن تعتنى بفنك أكثر مما تفعل. اننا فى انتظار قصتك القادمة .

شاهين حواش :

موهبتك القصصية لاشك فيها واسلوبك قصصى ممتع وانت ذو لغـــة ثرية تستطيع بها أن تقول ما تشاء . وقد اعجبت بقصتك هروب حقا واستمتعت بقراءتها. ولكن لى عليها بعض مآخذ قليلة ان رايت ان تتجنبها فى قصتك القادمة تصل ــ فى رايى ــ الى الاتقان غاية الاتقان .

هى طويلة بعض الشىء . ولقد القيت فيها نظرات الى الحياة تخدم القصة وتدل على حالة الهروب التى يعانيها البطل . ولكن هناك فقرات لا ادرى فيم تخدم القصة. مثلا « بعد انتهاء العرض خرجنا الى الطريق ونحن نتحدث عن القصة النفسية التى عاشها البطل وعن المعاناة والتجربة القاسية والالم الحاد الذى سيطر على حيـــاة البطلة وحطم اعصابها . وعن البعد الثالث فى الاخراج وروعة الكاميرا وهى تكشف عن خبايا النفس البشرية . وتصور ماخور القذارة حتى تصل الى بؤرة الضوء ومركز البداية . وضحكنا من الأعماق ونحن نستعيد صور الكارتون ونوادر الموقف ولهاث القط وهو يركض وراء الفار حتى يمسك به وينتقم منه دون طائل . وكانت اختى وصديقتها تتضاحكان فى صوت عذب تشوبه النشوة ورنة الاخلاص » .

فيم تفيد القصة هذه السطور . كم كنت اتمنى أن تكون متصلة ببناء القصة . فالقصة القصيرة لا تستطيع أن تحتمل فى سطورها ما لا يخدمها ويطورها ويصل بها الى الهدف الذى تنشده . واراك ايضا قد حشدت فى القصـــة بعض وقائع كنت تستطيع الاستغناء عنها . مثلا دخول والد البطل الى حجرته . اترى انك قلت شيئا بهذه الواقعة . قد تحتمل القصة الطويلة هذا ان كنت تريد أن تصور حياة او قطاعا من الحياة اما القصة فلا اظنها تحتمل . اكاد لا اشك اننى سانشر قصتك القادمة .

احمد نصيف السامرائى ــ سامراء ــ العراق :

قصتك جميلة . وقد جاءت نهايتها موفقة . فالعرض لم يكن ينبىء عن المفاجاة التى اخفيتها الى آخر القصة . ترقب قصتك فى عدد قادم ان شاء الله .

محمود الحسينى المرسى :

قصتك جميلة . والرمز فيها فنى احسنت التعبير عنه . ستنشر فى عدد قادم ان شاء الله .

سامى السيد طه :

قصتك تنبىء بأنك فى يوم ما ستكتب ما يرضيك . ولكن لا تتعجل فانه يبدو لى من قصتك انك فى مطالع الشباب الأولى . فانت تحتاج الى قراءة كثيرة وقد تبدو هذه النصيحة ــ اذ جاز لى ان انصح ــ نصيحة متكررة تدعو الى الملل ولكنها ــ للأسف ــ حقيقة لا يمكن التخلى عنها من يريد ان يكتب لابد أن يقرأ . قصتك هذه بسيطة ولكن طريقة روايتك لها فيها صدق وموضوعها انســـانى وان كنت ــ دون ان تحس ــ قد وجهت الى الناس رايا لو اتبعوه لأحاق بهم الشر . فليس الطـــريق الطبيعى لمن

يخذله طبيب ما أن يتوجه الى صيدلى . فليست مهمة الصيدلى ان يعالج . اقرأ أيها الأخ سامى ولا تتعجل الكتابة وثق انك حين تقرأ ستعرف متى تكتب .

محمود عبد العزيز سالم :

يا أخى لا عليك من هذه الحيرة التى تواجهها . واكتب . اكتب ما تشاء أن تكتب ولكن كن صادقا مع نفسك. وثق انك ما دمت قد قرأت كل هذا ستجد انك تطبق قواعد النقد دون أفتعال . فالفن حر طليق وهو فى حريته وانطلاقه يخلق قواعد النقد التى تخشاها . وحين تطمئن الى عمل لك فارسله الى ولنا حينئذ حديث .

السيد السيد على هلال :

قصتك جميلة لاشك فى ذلك وتدل على موهبة قصصية ناضجة . ولكنك أتراك كنت تنظر بعض الشىء لقصة الزعبلاوى للأستاذ نجيب محفوظ . ان كان الأمر كذلك فقد اخترت لمن تبحث عنه مهنة لا اظن انها ترضيك . هذا المعنى جعلنى مترددا غاية التردد فى نشرها . ولكننى واثق اننى سأنشر لك ما سترسله من بعد . فان أسلوبك المتمكن وعرضك الواعى ونظراتك الفنية البارعة كل ذلك يؤكد ان أعمالك لابد أن تنشر .

محمد السيد أبو دومه :

قصتك صورة وصفية تدل على انك تستطيع ان تقدم عملا قصصيا ناجحا ولكن اللغة العربية تنقصك فعباراتك ليست فى قوة عرضك القصصى كنت أحس دائما وانا أقرأ القصة انك تريد أن تقول شيئا ولكنك لا تقع على التعبير الموفق . أما حوارك العامى فهو صادق ويدل على معايشتك للصورة التى ترسمها . لو أن لغتك العربية فى ثراء لغتك العامية لأستطعت ان تقدم لنا عملا فنيا متكاملا . وهناك هنة صغيرة أخذتها عليك فى القصة . لماذا قامت العداوة بين علم الدين وراوى القصة . ثم لماذا تم الصلح بينهما . لماذا كف علم الدين عن سب بطل القصة . انا لم أجد زبارة خال علم الدين لراوى القصة كافية لمنع علم الدين عن سبابه . أظن أن هذه الواقعة كانت تحتاج الى توضيح اكثر .

جـــلال منصور :

الواقع أننى اعجبت بقصتك فان فيها انسانية رقيقة وفيها ايضا تحليلا دقيقا للمشاعر . الا أن فى القصة تناقضا عجيبا . فالعرض عندك يدل على انك ناضج متفهم لأصول القصة القصيرة الا انك فجأة دخلت الى القصة وقلت رايك فى مباشرة ووضوح بشكل ينافى ما وضح فى عرضك من أصالة وتفهم أتراك فعلت ذلك عن قصد .. هذه الجملة « الحل الذى تقره الانسانية وتأباه الكرامة ، والكبرياء .. ولكن مليون شاهد يقرر بواقعية مؤلمة بل موغلة فى الأيلام ان ليس بالكبرياء ولا بالكرامة يفتدى الانسان . وهذه قضية معقدة غاية التعقيد . بل هى الصراع الأزلى بين الواقع والمثل » .

لماذا كتبت هذه الجملة . لماذا لم تترك الأحداث تقولها . وقد قالتها فعلا .

وهناك تناقض آخر عجيب . فأنت من خلال القصة تبين أنك متمكن من لغته دارس لها وللأساليب العربية دراسة واعية ثم انت مع ذلك تخطىء فى النحو فى اكثر من موضع . انى واثق أنك لو عنيت بقراءة قصتك بعد كتابتها لاستطعت ان تعفى أعمالك من الخطأ النحوى فما اظن ان مثلك يقع فى هذه الأخطاء عن تدبر . أنا فى انتظار قصة أخرى منك .

●● **من القصص اخترت للنشر هذا الشهر قصة (الموعد) للأديب محمد صفوت عبده .**

الموعد

بقلم : محمد صفوت عبده

عندما أوشك الليل أن ينتصف ، نهض الأسطى حسنين من على مقعده العتيق متثاقلا ، وفى بطء رفع ذراعيه الى أعلى ، وأحنى جذعه الى الخلف قليلا ، محاولا أن يمط جسده ، وأن يعيد النشاط والحركة لمفاصله .. وخرجت من حلقه آهة تعب وارهاق ، وهو يتثاءب فى تراخ وكسل ، كأنما ليتخفف من عناء يومه الطويل ، وينفض عن نفسه آثار جلسته المضنية ، التى استغرقته منذ الصباح الباكر ... ورتب الرجل بعض الأدوات فى حانوته الصغير ، وأطفأ الأنوار ، ومن ثم أغلق الحانوت ، واتخذ طريقه عائدا الى بيته ، وهو يدبر فى رأسه أمرا هاما .

ذلك أن عيد الفطر المبارك . سوف يشرق على الدنيا ، وعلى أسرته بعد خمسة عشر يوما ، ولذا فقد آن له أن يشترى لبنيه وبناته الحلل والأكسية الجديدة ، وأن يبتاع لزوجه ما يحتاجه البيت من مستلزمات العيد البسيطة التى تتناسب مع رقة حاله .

وبينما كان الأسطى حسنين ، يخترق الشوارع والحارات والأزقة التى تؤدى الى مسكنه ، جعل يضرب أخماسا فى أسداس ، ويحسب ويجمع ويفكر .. انه يخشى أن تعجز نقوده التى ادخرها للعيد ، عن الوفاء بمطالب أسرته واحتياجات بيته فى تلك المناسبة السنوية السعيدة ! .

وظل الرجل يتدبر الأمر مليا ، الى أن قرر فيما بينه وبين نفسه ، أنه فى الصباح سوف يبدأ فيلبى رغبات أبنائه وامرأته والبيت ، وبعد ذلك ان نفذت الجنيهات العشر التى يملكها ، فلا مفر له من أن يصبرعلى نفسه ، ويتجاهل مطالبه الشخصية ويستغنى عنها ، وحسبه أن يدخل البهجة والسعادة فى نفوس افراد أسرته وقلوبهم ، بأن يهيئهم تهيئة حسنة لاستقبال العيد .

وما كاد الأسطى حسنين يدخل شقته المتواضعة ، حتى مضى الى خزانة الملابس الصغيرة ، التى تشبه الدولاب ، ففتحها واستخرج منها صندوقا معدنيا صغيرا ، كان قد أودع به العشرة جنيهات المدخرة ، والتى أراد أن يطمئن الى وجودها فى لحظته تلك ... ولكنه ما أن نزع غطاء الصندوق ، حتى ندت منه شهقة حادة ، كاد قلبه يخرج معها ، وصاح فى زوجته بغيظ وغضب :

ـ ويحك يا أم أحمد أليس هنا غير خمسة جنيهات ، فأين ذهبت الخمسة الأخرى ؟! .

وانتفضت زوجته وتملكها الخوف ، وزاغت عيناها ، حين نظرت اليه فوجدته جاحظ العينين منقلب السحنة ... وفتحت فمها وأقفلته دون أن تستطيع الكلام ، اذ طارت وتبخرت من ذهنها جميع الكلمات التى أعدتها لهذا الموقف العصيب .

وكانت الصدمة لا تزال تفعل فعلها بزوجها ، الذى اقترب منها وضيق عليها الخناق :

ـ قولى لى أين ذهبت النقود ، والا اضعت عمرك فى النو واللحظة .

وامتقع لون أم أحمد ، وتلاحقت دقات قلبها ، وتلعثمت وهى تقول بصعوبة بالغة :

ـ انه ابنـــك !!

قالتها ورفعت يدها لتستر بها وجهها ، اذا ما انهالت عليه صفعات زوجها ، وقد توقعت ذلك لفرط خوفها ، وطيبتها التى تبلغ حد السذاجة .

ولكنه أمسك بيدها هذه ، وأزاحها بعيدا عن وجهها ، ولما رفعت يدها الثانية ، ابعدها ايضا ، فاشاحت بوجهها ، ولوت رأسها اتقاء للضرب والأذى ... كما تفعل الخادم الغبية البليدة حين يحاسبها سيدها على خطأ ارتكبته .

ولم يمسسها زوجها بسوء ، وانما جاءها صوته المستفسر هادئا بعض الشيء :

ـ ماذا تقولين ... ابنى ؟! .. أريد ان أعرف اى ابنائى هو ، وكيف وصلت الجنيهات الخمسة الى يده ؟! .

وتحررت الزوجة من خوفها قليلا :

ـ انه ابنك عبد الحميد ، الغائب فى القاهرة ، أرسل الى مع أحد زملائه ، قائلا ان امتحانه النهائى فى الجامعة قد اقترب ، وانه لا يزال فى حاجة الى بعض الكتب والمذكرات .

وألقى الرجل بيدى زوجته ، ودفعها فى ثورة وغضب ، وضرب كفا بكف ، وزفر زفرة حرى :

ـ أف ... أعوذ بالله منك أيتها المرأة أنت وابنك ، أهكذا تبعثران النقود دون علمى ، ألن تنتهى اسطوانة الكتب والمذكرات هذه أبدا ؟! .

وقالت تسترضيه :

ـ هون عليك ، فما هى الا أشهر قلائل ، حتى يأخذ عبد الحميد الشهادة الكبيرة ، ويصبح موظفا كبيرا ، وحينئذ يكون الموعد .. موعدنا معه ليرد لنا الجميل .

ـ ولكنك تعلمين انى أرسلت له ستة جنيهات فى أول الشهر ، فماذا يظن سيادته ؟! .. هل يظن انى أصنع النقود ، أو اغترفها من معين لا ينضب ؟! .. أم تراه يعتقد انى على كل شيء قدير ؟! .

وصمت قليلا ثم قال فى تأفف وضيق :

ـ عجبى له ، ما دام يعلم كيف نحصل على القرش ، ويعلم اننا نحرم انفسنا حتى من ضروريات الحياة ، فى سبيل ان نوفر له نفقات تعليمه ، فما باله ينفق اكثر منا جميعا ، ولا يقنع ، بل يطالب بالمزيد ، دون ان تأخذه بنا شفقة او رحمة ؟! .. هذا والله حرام ! .. قالها وكأنه يشكو ابنه الى الله.

وربما اقتنعت الأم ، بمنطق زوجها ، وآمنت به ، ولكن حبها لابنها جعلها تقول :

ـ بالله عليك اهدأ يا حسنين ، والذى جعلنا نصبر طويلا ، يجعلنا نصبر قليلا ، فقد هان الأمر ، واقتربنا من بلوغ الأمل .

وقال الأب بصوت يغلفه الألم :

ـ لقد صبرنا على عبد الحميد حتى كاد ان يحرم اخوته وأخواته من حقهم فى الحياة ، ونحن من قبلهم ...

وتنهد فى مرارة ويأس ، ثم أردف وكأنه قد بدأ يستسلم لقضاء لا مفر منه :

ـ وماذا نفعل اذن وقد سلبنا نصف المبلغ الذى كنا ندخره للعيد ؟ .

ـ لا عليك ، فالخمسة جنيهات الباقية تكفى لأن نكسو عيالنا ، أما أنت وأنا ، فنستطيع أن نصبر ، ولن تكون بنا حاجة الى شيء ، طالما نرى أبناءنا وهم سعداء بملابسهم وأثوابهم الجديدة .

ـ واذا ضحينا ـ أنا وأنت ـ برغباتنا كما تعودنا ، فهل هذا هو كل ما فى الأمر ؟ ألن يحتاج البيت الى شيء لمواجهة العيد ؟ .

وكان النقاش بين الزوجين قد هدأ تماما ، فوضعت أم أحمد يدها على كتف زوجها فى حنان وتودد ، وقالت تهون عليه وتيسر له الأمر :

ـ أن الله لن ينسانا ، وأملى أنه سيفرجها علينا ما دمنا نوسع على عيالنا ... وما يدريك ، قد يبعث الله اليك ـ فى الحانوت ـ ببعض الزبائن الذين يطلبون منك أحذية جديدة ، فتربح من ورائهم ما يغطى حاجتنا .

وابتسم الأسطى حسنين :

ـ أرجو ذلك .

وبعد لحظة صمت ، وبعد أن استعادت الزوجة طمأنينتها وثقتها بنفسها ، نظرت الى زوجها باسمة ، وقالت فى استعطاف وتوسل :

ـ حسنين ... أرجو أن تغفر لى ولابنك ، وأن تقدر ظروفه ولا تظلمه ، فهو غريب فى القاهرة ، يواجه العيد والامتحانات ، ويحتاج الى الغذاء الجيد والكساء المناسب ، أو كما قال ، تنقصه الكتب والمذكرات للامتحان النهائى ، فهل ترانى أخطأت حين أرسلت له النقود ؟! .

ونجحت الأم الطيبة فى أن تفجر ينابيع الحب والحنان فى قلب الأب الحانى ، وأفلحت فى أن تمس منه أوتار الأبوة الصادقة .. فبصوت ملؤه العطف والاخلاص والتأثر ، قال الأسطى حسنين :

ـ الحقيقة يا أم أحمد انك فعلت خيرا ، وأملى أن الخير سيكون فى موضعه ، وأن عبد الحميد سيكون بارا بنا ، بعد ما يأخذ الشهادة العالية ويصبح موظفا عالى المقام .

وابتسمت الزوجة فى سعادة غامرة :

ـ أجل يا حسنين ، انه فرحتنا وثروتنا وأملنا فى الحياة ، انه النافذة التى منها ستطل علينا السعادة .

وفى تلك الليلة ، ضل النوم سبيله الى عينى الأسطى حسنين ، الذى ظل ساكنا مسهدا فى فراشه ، وبدلا من أن يتسرب السبات الى نفسه ، تسربت ذكريات حياته الى مخيلته .

والأسطى حسنين يعمل « حذاء » بمدينة الزقازيق ، بدأ حياته حينما كان غلاما يمسح الأحذية ، يتجول فى الشوارع ويطوف بالمقاهى ، ويحوم حول بعض الأماكن العامة ، وهو يحمل فى يده صندوقا خشبيا صغيرا ، علقت وشدت الى جوانبه زجاجات الأصباغ وقنينة الماء ، وعلب الطلاء ، وفى باطن ذلك الصندوق ، كان حسنين يضع الكثير من الأشياء ، مثل الفرش وشرائح القماش ، وعلب الورنيش ، التى تحوى احداها قليلا من الصابون وقطعة من الأسفنج ... وأيضا كان حسنين يحمل كرسيا صغيرا جدا ، لا تتجاوز أبعاده سنتيمترات قليلة ، حتى انه كثيرا ما كان يضعه بداخل الصندوق .

كان الصبى يدور ويسعى فى شوارع الزقازيق ، وهو يحمل صندوقه وكرسيه الصغير ، وقد ستر جسده النحيل ، وعوده الأخضر ، بجلباب رخيص الثمن ، ملطخ بالأصباغ والورنيش ، قذر رث ، آلمت به الثقوب وحال لونه من القدم ، وبترت أكمامه ، وشقت فتحة صدره فاتسعت حتى كشفت عن أعلى البطن .. وبالرغم من أن حسنين كان كثيرا ما يسير حافى القـــدمين ، الا انه كان دائما يضع فوق رأسه قلنسوة من القماش الأبيض ، يطل من تحتها شعره الأشعث الطويل .

كانت المقاهى هى المجال الخصب الذى فيـــه يزاول حسنين مهنته ، ويتكسب لقمة عيشه ، فكان يطوف بتلك المقاهى ، وفى كل منها يقترب من الرواد الجالسين واحدا بعد الآخر ، ويقول وفى عينيه ذل وانكسار ، وفى صوته رجاء وتوسل واستعطاف :

ـ تمسح يا بيـــه ؟؟ !!

فاذا ما أومأ اليه أحدهم بالايجاب ، غمرته السعادة ، وتحرك فى سرعة كالعصفور ، ودس كرسيه الصغير تحت جســـده النحيل ، ووضع صندوقه الخشبى تحت القدم ، والحذاء الذى سيطليه ، ومن ثم راح يباشر عملية التنظيف والطلاء والتلميع ، فيظل يهز يده اليمنى الصغيرة القذرة ، وتبعـــا لذلك ـ وبالرغم منه ـ تأخذ ذراعه الأخرى ورأسه وسائر بدنه فى الاهتزاز المتتابع ، ويستمر فى تحريك أصابعه المتسخة ، رائحة غادية على جلد الحذاء فى خفة ومهارة ، حيث يطليه بالصبغة ثم الورنيش ، مستعينا على ذلك بالفرشاة وقطعة من القماش ، .. وبعد جهد وارهاق ، ينتهى حسنين من مهمته تلك ، فيتقاضى عنها عشرة مليمات ـ تزداد خمسا فى احيان قليلة ـ يضعها فى جيبه وهو يشكر ربه .. ثم يمضى ليعرض خدماته على باقى الزبائن ، واذا ما أتم دورته فى ذلك المقهى ، سعى الى غيره وغيره ،.. وهو فى الغالب يمر بالمقهى الواحد أكثر من مرة فى اليوم الواحد .

ويعرق حسنين ويجوع ، ويلم به التعب ، ويوشـــك رأســـه أن يدور ، ولـكنه أبدا لا يهـدأ ولا يستريح ، ولا يتكاسل ولا يتقـــاعد ، بل يجد فى السعى والطواف ، باحثـا عن العشرة مليمات أينما تكون .

وبعد سنوات طويلة شاقة من العرق والكفاح المرير ، والجهد المتصل ، والعذاب والحرمان ، استطاع حسنين أن يدخر مبلغا لا بأس به من المال ، وربما كان لديه مبلغا بسيطا بقى له من بعـــد والديه ، فتمكن من أن يفتتح حانوتا صغيرا متواضعا ، لمسح واصلاح الأحذية ... وأيضا كان يشترى الأحـذية والنعال المستعملة ، ويجرى لها عمليات الاصلاح والترميم والتجديد ، ومن ثم يبيعها للفقراء من الناس ، فيحقق بذلك بعض الكسب ..

وشيئا فشيئا تمكن من حرفته واتقنها ، فاصبح يصنع الأحذية لمن يطلبها ، وكان فى صناعته حاذقا ماهرا ، واخلص لمهنته وأحسن معاملة زبائنه ، فاجتذب اليه الكثيرين من العملاء ، ونال اقبالا ورواجا لا بأس بهما .

ولمـا بلغ الأسطى حسنين الثامنـــة والعشرين من عمره ، تزوج من ابنـة صاحب المقهى البلدى المجاور لحانوته .

ونظرا لفقر الأسطى حسنين وضيق مورده ، فان ابنه الأكبر أحمد ، لم ينل من العلم غير مبادىء

القراءة والكتابة ، وذلك فى مدى ثلاث سنوات اختلسها من الزمن اختلاسا ، وامضاها بالمدرسة الابتدائية ... ومن ثم استبقاه ابوه معه فى الحانوت ، وصار يلقنه أصول المهنة وأسرار الصنعة ، حتى تعلم أحمد ، فأصبح يمسح الأحذية ، بينما تفرغ الأب ـ الى حد ما ـ لعمليات الاصلاح والصناعة .

ولكن عبد الحميد ، الابن الثانى ، كان محظوظا الى حد كبير ، اذ استطاع ـ فى غفلة من الزمن ـ ان يصل الى التعليم الثانوى ... وبالرغم من ذكاء عبد الحميد ، وتفوقه فى دراسته بعض الشىء ، فقد كان ينفرد ببعض الطباع الغريبة غير المستحبة .

كان عبد الحميد عنيدا مستبدا ، أنانيا لا يحب الا نفسه ، وآية ذلك ، انه لم يكن يقنع أبدا بالقروش التى يأخذها من أبيه كمصروف لليد ، بل كان يلجأ الى أمه ليأخذ منها المزيد ، ومن ثم يعمد الى خطف قروش أخوته وأخواته ، بالحيلة أو القوة أيهما أجدى ، ثم ينفق كل ذلك فيما لا يفيد ، وفى اشياء لا غناء فيها .

ولم يكد عبد الحميد يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، حتى طالب بأن تكون له غرفة خاصة به ، ومع ان الأسرة كلها كانت تعيش فى شقة ضيقة مكونة من غرفتين صغيرتين ، وصالة أصغر منهما ، فقد استطاع بمكره وخبثه أن ينفرد باحدى هاتين الغرفتين ، تاركا كل افراد الأسرة ليعيشوا فى غرفة واحدة .

وهو نادرا ما يجالس أفراد الأسرة على الطعام ، أو يشاركهم فيما يأكلون ، فأحيانا لا يروقه ما يأكلون ، وأحيانا يشمئز ويتقزز من منظر أختيه الصغيرتين وهما تعملان ايديهما فى صحاف الطعام ، فتعافه نفسه ، وتتملكه الأثرة وحب الذات ، فيحاول دائما أن ينفرد وحده بالطعام ، الذى غالبا ما يكون أفضل وأجود من طعام الأسرة .

والويل كل الويل لأبيه وأمه ان هما تأخرا فى تلبية رغبة من رغباته ، التى لا تقف عند حد ، والتى غالبا ما تكبدهما فوق طاقتهما ... فهو عندما يريد ، لابد أن يحصل على ما يريد ، وهو حينما يتحدث أو يتناقش ، فليس لهما أن يعارضاه ، أو حتى يرفعا صوتهما على صوته ، وانما الغلبة له دائما ، لأنه ـ كما يصور له غروره وكبرياؤه ـ صاحب العلم والمعرفة والرأى المستنير .

ولكن ثمة شخص واحد ، كان يستطيع ان يشارك عبد الحميد فى حجرته أو طعامه ... ذلك هو اخوه ابراهيم الذى يلاحقه فى العمر والدراسة .

على هذا النحو شب عبد الحميد ، متخذا صفة الألوهية والزعامة على افراد اسرته ، وهم لفرط طيبتهم وبساطتهم المشوبة بالسذاجة ، لا يفطنون الى كنه نفسه ، ولا يدركون من أمره شيئا ، بل هم

يعمقون فى نفسه الصفات والطباع التى نبتت فيها ، اذ يحيطونه بالاحترام والتقدير ، والحب والنهيب .

وحصل عبد الحميد على الشهادة الثانوية العامة بمجموع لا بأس به ... وبعد الزغاريد والشربات ، وبعد الفرح والسرور ، قامت القيامة ، فعبد الحميد يريد ان يلتحق بالجامعة ليواصل دراسته ، وأبوه يريد منه أن يلتحق بأية وظيفة كى يعول نفسه ، ويسهم فى نفقات الأسرة ، التى تئن تحت ضغط الحاجة والفقر ، ولولا نفقات تعليمه بالثانوى لكانت الأسرة أيسر حالا ... واختتم الأب حديثه قائلا ، انه أولى لعبد الحميد أن يحمد الله على أن وصل الى هذه المرحلة من التعليم ، وأن عليه أن يعمل ليتولى أمر نفسه ، وليتح الفرصة لأخيه الأصغر ابراهيم عسى أن يصل مثله الى الثانوية العامة ، التى لا يطمعون فى أكثر منها ، والتى يعدونها نعمة من الله وفضلا .

وكانت الأم حائرة بين ابنها وزوجها ، لا تدرى أيهما تناصر ، فهى لا تفهم ولا تدرك معنى أن يواصل ابنها تعليمه فى الجامعة ، ولا تكاد تشعر بأية أهمية لذلك اطلاقا ، ولكنها ترى أنه ما دام قد أخذ شهادة تؤهله للوظيفة ، فحسبه ذلك ، وعليه أن يتوظف ، حتى يفرحون بوظيفته ، وينعمون بما يعطيهم من راتبه .

وبعد أيام من المناقشات الحادة والخلافات المستمرة ، أخذت المعركة تهدأ تقريبا دون أن يكون النصر فيها لأحد ، فكل يعتقد أنه سيصل الى غرضه ، ولكن عبد الحميد انفرد بأمه ، وبمكره ودهائه وحيلته الواسعة ، استطاع أن يحصل منها على بعض النقود ، ومن ثم سافر خلسة الى القاهرة ، وقدم أوراقه الى مكتب التنسيق .

وبلغت الأزمة أشدها ، حين حمل البريد الى عبد الحميد بطاقة ، تفيد قبوله بكلية الزراعة ، اذ أعلن ذلك الى أهله ، واقسم لهم بالعظيم ثلاثا ، أنه سوف يضع حدا لحياته ، اذا هم لم يدبروا أمر ذهابه الى الجامعة ... وكانت مفاجأة مذهلة أخذ لها الجميع وعجبوا ، .. بكت أمه ، وعبثا حاول أبوه أن يثنيه عن قراره ، ودون جدوى توسل اليه أن يرحمه ، وأن يقدر أنه فقير ، ولا طاقة له على تحمل مصاريفه فى الجامعة ، وما يتبعها من نفقات اقامته ومعيشته فى القاهرة ، فلم يرتد عبد الحميد عن عزمه ، بل ازداد تصميما واصرارا ، واضرب عن الطعام ، مهددا بأنه سينتحر ! .

ظل النزاع العنيف سجالا بين عبد الحميد وأبيه ، والذين تدخلوا من أفراد الأسرة ، لم يسلموا من هجمات عبد الحميد وفظاظته ... وفى النهاية استسلم الأب مضطرا ، وخضع وانقاد لمشيئة ابنه ، وبات من المقرر أن يذهب عبد الحميد الى الجامعة .

ولكن ذلك كان وبالا عظيما انصب فوق رأس أخيه الأصغر ابراهيم ، ذلك المسكين الذى كتب عليه أن يضحى بنفسه وبمستقبله فداء لمستقبل عبدالحميد ، والذى قضى عليه أن يعيش فى الفقر والظلام ، وأن يحرم العلم وقود الحياة ونورها ... ضاع ابراهيم ضحية للانانية البشعة وهو مخدوع دون أن يدرى ! .

فما وافق الأسطى حسنين على أن يلتحق عبد الحميد بالجامعة ، الا بعد أن تمكن الاثنان من اقناع ابراهيم ، بأن يعمل بالشهادة الاعدادية ... وسرهما أنه بعد تردد ضعيف ، قبل فى سهولة ويسر أن يتوظف ! .

ربما فرح الصغير الذى لم ينل من العلم الا قليلا ، لأنه سيستريح من عناء الاستذكار ويصبح موظفا يجلس على المكتب ويتقاضى المرتب فى أول كل شهر .

وكان هذا المرتب هو كل ما يعنى عبد الحميد والأسطى حسنين ! .

وذهب عبد الحميد الى الجامعة بعد ان منى ولديه وأخواته ، بأنه بعد تخرجه سيكون لهم نعم الابن والأخ ، وانه سوف يرد لهم الجميل ، ويغدق عليهم المال والخير العظيم ... ويسعدهم جميعا .

كان عبد الحميد يسرف فى الوعود والآمال ، كلما أرسل يطلب النقود من والده أو والدته .. وبانت الأسرة الفقيرة كلها تعيش فى سبيل أن تدخر ما ترسله لعبد الحميد فى أول كل شهر .. ولم يكن الفاقة ، وترضى بمر العيش ، فى سبيل أن تدخر ما ترسله لعبد الحميد فى أول كل شهر ... ولم يكن عبد الحميد ليقنع بالقليل ، أو يتحرج من طلب النقود فى منتصف الشهر أو آخره ... فهو دائما فى حاجة الى مصاريف للكلية ، وكتب مذكرات ، وملابس وايجار .. وهاتيك من الحجج والأسباب .

وظلت الأسرة على ذلك الحال ... الأسطى حسنين وأحمد يكدحان ويشقيان فى حانوتهما ، وابراهيم يتقاضى راتبه ولا ينعم به كما كان يظن ، وأم أحمد تجمع قرشا من هنا وقرشا من هناك ، وربما اضطرت أحيانا ـ وفى السر ـ لأن تعمل كفسالة فى بعض البيوت ، كى تدبر ولو جزءا من النقود التى يطلبها منها ابنها ، والتى ترسلها اليه دون علم أحـــد ! .

حتى فى أيام الأعياد والمناسبات ، التى ينفق فيها كل الناس عن سعة وبحبحة ، من مبالغ تكون مرصودة لذلك غالبا ، فينعمون بالخير والبهجة ، ويغتنمون نعم الحياة ومسراتها ... فى هذه الأعياد ، كانت أسرة الأسطى حسنين لا تجد ما تنفقـه ... عبد الحميد يمتص دخلها أولا بأول ، بل ويلجئها الى الدين المذل ، فتعيش الأسرة فى حرمان وعدم ، وهى تتطلع فى حسرة وكبت الى أهل اليسار والنعمة أولئك ، وتذوب أملا فى القليل من النعيم والهناء ، وتتحرق شوقا الى طيبات الحياة .. تشتهى كسوة جديدة ، أو أكلة لذيذة ، أو حتى بسمة سعيدة ، تجفف حبات الدموع والعرق ، ... ولكنها لا تجد الى ذلك سبيلا ! .

كل ذلك من أجل عبـــد الحميد .. ومن أجله أيضا ، كانت قلوب أهله عامرة بالصبر والرضى ، والأمل والانتظار .

وجاء اليوم المنتظر ، وتخرج عبد الحميد من الجامعة ، فكان يوم عيد .. فى سعادة غامرة ، وفرحة طاغية ، زغردت أمه ورقصت ، وصاحبها زوجها مصفقا لها على الواحدة ، وهو يهتز ويميل طربا ، ولمـــا غلبته الفرحة ، صـــار يرقص معها ، بينما راح الأولاد والبنات يدقون لهما الايقاع على الأكف والأوانى النحاسية ، فى سرور وتهليل .

فاضت السعادة والبهجة بأسرة عبد الحميد ، وأترعت أكواب الشربات ، تتخاطفها الأيدى ، وتوزع على المهنئين والنسوة اللائى جئن يزغردن مع أم عبد الحميد ، ويشاركنها فرحتها ، وكان قلب هـــذه الأم يضج بالنشوة ، ويرقص من الفرحة ، كلما نوديت بأم عبد الحميـــد ، أم الأستاذ ، أم البيك ، أم الباشمهندس ، لقد لذ لها ذلك وأشعرها بالعزة والفخار ، ومثلها كان أبو عبد الحميد ، سيما وأن جيرانهما ، سكان الزقاق ، أصبحوا ينظرون اليهما فى كثير من الاجلال والاحترام .

وكانت الفرحة الكبرى يوم تسلم عبد الحميد وظيفته ، فهى وان كانت بالقاهرة ، بعيداً عن اهله الذين تأملوا لذلك ، الا انها كانت ايذانا لهم ببدء تحقيق الأحلام وبلوغ الآمال .

فعبد الحميد سوف يبدل حالهم ، من عسر الى يسر ، ويرفع عن وجوههم بصمات الفقر والفاقة ، ويمحو من حياتهم آثار البؤس والشقاء ، ويضيء لهم شموع السعد والهناء ... انهم جميعا على موعد مع السعادة .

اخته الصغرى سعدية تتحسس اذنها فى تمن وغبطة ، بعد ان ثقبتها وهيأتها للقرط الذهبى الذى وعدها به .. واخته الكبرى عزيزة ، يداعبها أمل لذيذ ، وحلم رائع ، فسوف يتم زواجها الذى كان مؤجلا حتى يتخرج أخوها ويتوظف .. وأم عبد الحميد ، تنظر فى المرآة ما بين يوم ويوم ، لتتخيل نفسها حين يعود اليها الصبا والشباب والجمال ، بفضل هدية ابنها .. ثوب من القطيفة وغطاء للرأس من الحرير الطبيعى ... ثم ابراهيم ، انه وبعد ان كبر وأدرك ، يحاول ان يقهر الشعور بالندم ، الذى أصابه لضياع مستقبله ، ممنيا نفسه بأن اخاه سوف يساعده ويعاونه ، ليستذكر من جديد ، ويحصل على الثانوية العامة ، وينتسب الى الجامعة ... والأسطى حسنين ، آماله ، هى أن تتحقق آمال أسرته جميعا ، وان كان يطمع ـ هو وابنه أحمد ـ فى أن يعاونهما عبد الحميد ، كى يستأجرا حانوتا اكبر ، فى مكان أفضل ، حيث تتسع صناعتهما ، وتنمو تجارتهما وتزدهر وتربح ..

... والذى لا شك فيه ، أن هذه الأسرة كانت تنوى البحث عن مسكن جديد مناسب .

وبين الأمانى والأحلام ، عاشت الأسرة فى شوق ولهف وحنين ، تنتظر حضور عبد الحميد ، حيث يأتيهم بالنعيم والخيرات ، والسعادة والهناء ، ويحقق لهم الآمال .

ومر شهر واثنان وثلاثة ، وطالت غيبة عبد الحميد ، وسرى القلق فى نفوس أهله ، وعشش الهم فى قلوبهم ، وكادت أحلامهم تتبدد ، وآمالهم تتداعى ، حين تصلهم رسائله المتباعدة ، التى فيها ينتحل الأعذار ... تارة يقول انه يشترى الملابس الجديدة ، التى تليق بمظهره بين زملائه ورؤسائه فى العمل ... وتارة يذكر انه يؤثث غرفته أثاثا مناسبا ، ومرة يقول انه اضطر لأن يشترى ساعة يعرف بها الوقت ، ومرة يؤكد أنه مدين ، وسوف يحضر اليهم بعد أن يسدد ديونه ! .

ولكن الأيام والأشهر كانت تنقضى وتمر ، دون أن يحضر عبد الحميد ، وان كان لا يفتأ يمنى أهله بقرب حضوره ، ويؤكد لهم أنه لن ينساهم ، وسيكون عند حسن ظنهم به .

ولكن أهله ظلوا ينتظرونه حتى ملوا الانتظار ، واستمروا يسمعون وعوده حتى سئموها ، وزهدوا فيها ، وأيقنوا أنها وعود زائفة كاذبة .

تمزقت أحلامهم ، تحطمت آمالهم ، وتملكهم اليأس ، وتغلغل الألم فى نفوسهم ، وخيم الحزن على بيتهم المتواضع الحقير ، ولفه سكون مطبق وصمت كئيب !

وتوسلت الأم الى ابنها ابراهيم ، كى يذهب الى القاهرة ، ليطمئن على أخيه ، ويستطلع أحواله ، ولكنه أبى ورفض تماما ... ولجأت الى زوجها ، فكان رفضه أقسى وأشد ..

... انفجر الأب فى زوجته ، وراح يصب عليها غضبه ، ويؤنبها ويعنفها ويلومها قائلا ، انها هى

سبب عقوق عبد الحميد ، أفسدته بتدليلها ، وجعلته يشب أنانيا بايثارها له .. ان هذا الولد تربية امـــه ، وها هو قد نسينا ولم يعد يعرفنا .. لقد ضاع أملنا فيه !

وفى البداية كانت الأم تدافع عن ابنها ، ولكنها أخيرا ، يئست وغلبت على أمرها ، فبكت وغمغمت :

ـ يا خيبة أملى فيك يا ولدى .

وفجأة ، أشرق الأمل ، فبعد قرابة العام ، وصلتهم رسالة سحرية من عبد الحميد ، تقول أنه سيحضر غدا ... الموعد غدا وليس أبعد من ذلك ..

وكما زغردوا ورقصوا لنجاحه وتوظفه ، زغردوا ورقصوا لعودته ...

شاعت السعادة فى البيت ، وابتهج الجميع ، وراحدا يعملون فى حيوية ونشاط ، يعدون المنزل لاستقبال عبد الحميد ، ويستعيرون ما ليس عندهم من الجيران ، وأولئك يبذلون لهم المعونة فى اخلاص ، وقد سرهم أن يحضر عبد الحميد .

وفى الغد ، وحين حضر عبـــد الحميد ، استقبله أهله بالحفاوة والترحيب ، والشوق والحنين ، والأحضان والقبـــلات .. وكانت أمـــه تزغرد وتبكى ، وهى تضـــمه وتقبـله ، ولا تكاد تصدق أنه بين أحضانها ... لقد حقق لها النصر أخيرا ، وآن لها أن ترفع رأسها على زوجها والآخرين ... لقد استطاعت أن تربى ابنها ، واليوم ستجنى ثمار تربيتها .

وبعد قليل من الوقت ، جلست العائلة ، لتتنـــاول مع عبـــد الحميد ، أشهى وأفخر وجبـــة من الطعام ، انفقت فيها الأم وابنتاها الكثير من الجهـــد والوقت والمال ... ومن ثم اختتموا غداءهم بالفاكهة والحلوى التى أحضرها عبد الحميد .

ولم يعـــد الأسطى حسنين ، ولا ابنـــه أحمد ، الى الحانوت فى ذلك اليوم ، بل تركاه مغلقـا ، وظلا يستمتعان بلقاء عبد الحميد .

أمضى الجميع أمسية ســـعيدة هانئة وهم ملتفون حول عبد الحميد ، يبثونه الأشواق والمحبة ، ويعاتبونه عتـــابا رقيقـا ، ويتبادلون معـه الأحاديث العذبة الطلية ، والسمر الحلو الظريف ، وهو من فينة لأخرى ، يطلعهم على أخباره المشرفة ، ويقص عليهم أقاصيص نجاحه وتقدمه فى العمل .

وفى تلك الليلة ، بات أفراد الأسرة يحلمون بما يحمله لهم الغد من خير وبشر .

وفى اليوم التالى ، وبينما كان عبد الحميد نائما ، عن لأمه أن تعبث فى جيوب بدلته ، كأنما لتعلم مقدار ثرائه ، وتطمئن لمقـــدرته على أن يحقق لهم الآمال ... ولدهشتها ، وجدت فى جيبه صورة فتاة ! .... ولفترة وجيزة ، لم تستطع الأم أن تتبين حقيقة مشاعرها ، ولكنها عادت فأحست بالرضى والسعادة ... ابنها رجل .. ويحب .. ومحبوبته جميلة وحلوة .. هذا شىء رائع

وعثرت أناملها على الأوراق المالية ، الخضراء والحمراء ، وفى مزيج من الفرحة والارتباك ، ارتعشت يداها وهى تحاول أن تعد هذه الأوراق ، ولكنها عجزت عن عدها ، حيث لا عهد لها بمبلغ كبير كهذا ، فأعادت النقود الى مكانها ، وهى لا تزال مأخوذة بجمالها ، مبهورة بسحرها .

وفى أصيل ذلك اليوم ، ارتدى عبد الحميد بدلته بعد أن جاءت من عند الكواء ، وصفف شعره ،

وتأنق وتعطر ، ومن ثم قال لأمه أنه ذاهب لأبيه ، فسرت واستبشرت ، وأدركت بقلبهـــا الطيب ، أن ابنها سيتفاهم مع أبيه فيما يجب عليه عمله نحو الأسرة ، بالنقود الكثيرة التى معه ، وتمنت لو تذهب مع ابنها ، ولكنها خجلت ، وفضلت أن تصبر حتى يأتيها بالخير .

أقبل عبد الحميد على الحانوت ، وألقى التحيـة على والده ، الذى ترك عمله ، ونهض فاستقبله واقفا ، وقدم اليه مقعدا ليجلس ، وطلب اليه مشروبا من المقهى المجاور ..

وفى خجل وحياء ، تمتم الأسطى حسنين :

ـ أحمد ليس موجودا ، ذهب يشترى بعض الخامات للحانوت .

وجلس يتم مسح حـــذاء الزبون الذى كان أمامه ، ولكنه شعر بالحرج والهوان ، وهو يزاول تلك العملية أمام ابنـــه ، فود لو تنشق الأرض وتبتلع هـــذا الزبون ، أو لو يطيح به من على الكرسى ويصرخ فيـــه :

ـ اغرب عن وجهى ، فلن أمسح أحـــذية بعد الآن ، ألا تعلم أيها الأحمق ؟! .. هـــذا ابنى ، انه أفضل منك ... باشمهندس زراعى كبير .. كبير ..

ونظر عبد الحميد الى ساعته ، لقد اقترب موعده مع حبيبته ، صاحبة الصورة التى يحتفظ بها فى جيبه ، وفى قلبه ، والتى أحبها وأحبته منذ كانت معه فى الكلية ، وبعد أن تخرجت وعينت مدرسة باحدى مدارس الزقازيق ، كانت الرسائل هى سفير الحب ورسوله بينهما . والآن هو على موعد معها ، حيث يتفقان على موعد الخطوبة وتقديم الشبكة ..

ولذا ، فما كاد الزبون يخرج من الحانوت ، حتى نهض عبد الحميد ، وجلس أمام أبيه وقال :

ـ أرجو أن تمسح لى حذائى ، فان لدى موعدا هاما ! .

... وخر الأب مغشيا عليه ، فسقط رأسه ، ووجهه على حذاء ابنه ! .

محمد صفوت محمد عيده